الأسس والجهود التربوية لدى جمعية العلماء المسلمين 1931 - 1954

The educational foundations and efforts of the Association of Muslim Scholars 1931-1954

د. فرحات الكاملة[1] ،[*]، د. بابه حورية[2]

[1] جامعة الوادي، الجزائر، ferhat-kamla@univ-eloued.dz

[2] جامعة الوادي، الجزائر،baba-houria@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام:10-09-2022 تاريخ القبول: 12-12-2022 تاريخ النشر: 31-12-2022

ملخص: إن الأسس والمبادي التي قام عليها منهج جمعية العلماء المسلمين ساهمت في الحفاظ على مقومات الهوية الجزائرية وفي تماسك النسيج الاجتماعي الجزائري. وإثراء التجربة التعليمية للمدرسة الوطنية الجزائرية ورسالتها التربوية، وحاولنا في هذه الورقة تسليط الضوء على هذه المبادئ والأسس للمنهج التربوي لجمعية العلماء المسلمين والنتائج التي قدمها هذا المنهج على العديد من الأصعدة الوطنية السياسية والثقافية والاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: منهج تربوي؛ جمعية العلماء المسلمين؛ مدرسة جزائرية.

Abstrat: The foundatios and principles which the approach of the Association of Muslim Scholars is based has contributed to preserving the foundations of the Algerian identity and the cohesion of the Algerian social fabric. And enriching the educational experience of the Algerian National School and its educational mission, and we tried in this paper to shed light on these principles and foundations of the educational curriculum of the Association of Muslim Scholars and the results presented by this curriculum on many national, political, cultural and social levels.

Keywords: the educational curriculum; the Association of Muslim Scholars the Algerian school.

[*]المؤلف المراسل

1- مقدمة

كانت السياسة الاستعمارية الفرنسية تهدف إلى إخضاع الجزائريين لضمان استمراريتها، ولذلك عملت في مجال التعليم في الجزائر على تكوين فئة تحمل ثقافة فرنسية ومستوعبة للاستعمار الفرنسي ورسالته الحضارية -حسب زعمهم- (حلوش، 2013، ص 260) ورغم ذلك تشير الاحصائيات إلى قلة أعداد الجزائريين الذين استفادوا من هذا التعليم، حيث نجد 5 بالمئة إلى غاية سنة 1914م و6 بالمئة إلى غاية سنة 1926م، وبعد مائة سنة من الاحتلال لم يستحق الجزائريين إلاَّ 93 مقعدا سنة 1930م. (يعيش، 2011م، ص 157).

وهذا ما أدركته النخبة الإصلاحية الوطنية الجزائرية ومنهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، وإيمانا بأهمية العلم ودوره في الوعي الوطني فقد بادرت هذه النخب إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين في 5 ماي 1931م.

وجاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على المنهج التربوي لدى جمعية العلماء المسلمين من خلال ابراز دوره كأحد أهم مظاهر المقاومة الثقافية التي ساهمت بتشكل الوعي الوطني الجزائري.

2- أسس المنهج التربوي لجمعية العلماء المسلمين

أعطت جمعية العلماء المسلمين للعملية التربوية دورا أساسيا في بناء الفرد الجزائري بناءا فكريا وثقافيا ونفسيا وسياسيا، ولذلك عملت على تبني منهج تربوي متكامل الجوانب وذلك من خلال:

1.2- الأسس المعنوية:

لقد حاكت جمعية العلماء المسلمين في تجربتها التربوية النظريات التربوية الحديثة التي تهدف إلى بناء الشخصية المتكاملة من عدة نواحي نفسية واجتماعية وبدنية، وقد جسد الشيخ عبد الحميد بن باديس هذه النظرة بقوله" إن الإنسان مأمور بالمحافظة على هذه الثلاثة عقله وخلقه ودينه، ودفع المضمار عنها، فيثقف عقله بالعلم، ويُقَوم أخلاقه بالسلوك النبوي، ويُقَوم بدنه بتنظيم الغذاء، وتوقي الأذى، والتريض عن العمل" (سعيد، 2020م، ص 151)، وقد شملت أسس بناء شخصية الفرد في المنهج التربوي لدى جمعية العلماء المسلمين بالتركيز على عدة جوانب أهمها:

2-1 -1 الجوانب الدينية والأخلاقية:

أدرك رجال جمعية العلماء المسلمين بأن أولى غايتهم في العملية التربوية هي تكوين جيل على قاعدة الدين الإسلامي الصحيح (سعيد، 2020م، ص 151)، وإحياء الدين الإسلامي بهذا الجيل على أسس التوحيد الإسلامي من حيث صفاءه الأول (مراد، 2007م، ص 312)، وهذا من خلال تربية العقائد الصحيحة، إذ يقول أحد خريجي المدرسة الإصلاحية " إن الذي وجه إليه اهتمامنا الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق فالباطن هو أساس الظاهر". (يعيش، 2011م، ص 164)

والتربية الدينية تتجاوز العبادات لتتجسد في السلوكيات بتطهير الروح وغرس العقيدة في القلب(شيبان،ص102)

ولتجسيد هذا المبدأ حثت جمعية العلماء المسلمين على تهذيب الناشئة بما تدعو إليه التعاليم الإسلامية(الإبراهيمي، ج 2، 1997،ص114). وهذا ما جسده القانون الداخلي لمدارس جمعية العلماء المسلمين حيث نص قانون جمعية التربية والتعليم بقسنطينة في مادته الثانية "مقصود الجمعية هو نشر الأخلاق الفاضلة،..."(ابن باديس، ج2، 1ص997، ص184)

كما نصت لوائح المعهد الباديسي على تشديد المراقبة في الناحية الأخلاقية، وهذا ما تجسده اللائحة للسنة الدراسية 1948م "تشديد المراقبة على التلاميذ في الناحية الأخلاقية، ولا نبالغ إذ قلنا: إن التربية الفاضلة هي الغرة اللائحة في جبين المعهد الباديسي، وهي الميزة التي يمتاز بها على جميع معاهدنا من أعلاها إلى أدناها، ولو تكاملت وسائلها- ومنها توحيد السكنى- لأخرج المعهد في بضع سنين للأمة الجزائرية جيلا مسلحا بالفضائل، زعيما بإحياء الدين والدنيا، ولقدم لجامع الزيتونة نموذجا من خريجي السنة الرابعة يجمع بين حياة الفكر ومتانة الأخلاق.(الإبراهيمي، ج 2 ،1997، ص214)

2-1- 2 الأسس النفسية والعقلية:

لقد بنت جمعية العلماء المسلمين مشروعها التربوي على أساس يراعي النمو النفسي والعقلي للمتعلم، وذلك بتجنب الحشو في المعلومات والاستناد إلى المنهج الصحيح، كما ضبطت جمعية العلماء المسلمين أسس العقوبات والمكافآت على أسس علمية حديثة تراعى فيها النظريات التربوية، فمنعت ممارسة العقاب البدني والشتم، واقتصرت العقوبات على التوبيخ أو الحجز في فترات الراحة أو تكليف التلميذ بكتابة نصوص وقواعد يكررها مرات عديدة (مخلوفي، 2009م، ص 41). وفي هذا الصدد يؤكد الشيخ البشير الإبراهيمي على محدودية العقاب البدني في تحقيق نتائج تربوية، وذلك بقوله"... ليحذر المعلمون الكرام من سلوك تلك الطريقة العتيقة التي كانت شائعة بين معلمي القرآن، وهي أخذ التلاميذ بالقسوة والترهيب في حفظ القرآن، فإن تلك الطريقة هي التي أفسدت هذا الجيل وغرست فيه رذائل مهلكة، إن القسوة والإرهاب والعنف تحمل الأطفال على الكذب والنفاق، وتغرس فيهم الجبن والخوف، وتبغض إليهم القراءة والعلم، وكل ذلك معدود في جنايات المعلمين الجاهلين بأصول التربية."(الإبراهيمي،ج2، 1997،ص113)

كما اهتمت جمعية العلماء المسلمين بالقدرات العقلية لدى المتعلم وتنميتها، وكانت تهدف من وراء ذلك إلى حث الطلبة إلى إعمال عقولهم فيما يدرسون، وأن يفكروا تفكيرا صحيحا، فيقول الشيخ عبد الحميد بن باديس " التفكير التفكير يا طلبة العلم فإن القراءة بلا تفكير لا توصل إلى شيء من العلم". (نواري، 2015، ص 145).

هذا، واهتمت جمعية العلماء المسلمين بتنمية الجانب العقلي والنفسي للمتعلم من خلال بناء نظام تعليمي بشكل محكم يعتمد في أسسه على مراحل النمو العقلي والنفسي للمتعلمين، ولذلك ضبطت معايير التوجيه والإرشاد حيث يقول الشيخ البشير الإبراهيمي" فواجب المربي الحاذق المخلص إذا أراد أن يصل إلى نفوسهم من أقرب طريق، أن يصلح نزعاتهم بأيسر تكلفة، وأن يحملهم على طاعته بامتثال أمره بأسهل وسيلة، هو أن يتحبب إليهم ويقابلهم بوجه متهلل، ويبادلهم التحية بأحسن منها، ويسائلهم عن أحوالهم باهتمام ويضاحكهم ويحادثهم بلطف وبشاشة ويبسط لهم الآمال ويظهر لهم العطف، ما يحملهم على محبته". (سعيد، 2020م، ص 152)

بالإضافة إلى هذا فقد راعت المناهج التربوية الفروق الفردية المختلفة لطلاب العلم، وفي هذا أقر الشيخ عبد الحميد بن باديس بمراعاته للفروق الفردية لدى طلبته فقال: "ورأيت أن لهم الحق أن يأخذوا حظهم من التربية والتعليم على وجه يناسبهم، فأسست لهم درسا يوم الأحد من كل أسبوع، يلقى على جماعة منهم في الساعة العاشرة نهارا، وعلى جماعة منهم على الساعة الثامنة ليلا، حتى يعم من يتفرغون له بالليل ومن يتفرغون له بالنهار. (نواري، 2015م، ص 134)

ورغم قلة الوسائل البيداغوجية إلاَّ أن جمعية العلماء المسلمين حرصت على تقديم تعليم ذو نوعية لتسهيل استيعاب الدروس، وكانت توصي بضرورة تطبيق الدروس في حصص تطبيقية أو أثناء الحصة وهذا ما

أكده الشيخ العربي التبسي بأن فنون التعليم مختلفة لا تثمر إلاَّ بعد تحضير جيد وتخطيط للدرس، وتمثيل رصين بمعونة أشياء محسوسة مختلفة، وقد جسد الشيخ بن باديس ذلك مع تلامذته في درس التاريخ، حيث استعان بالخرائط الجغرافية للإيضاح، وقد انطبق ذلك على العلوم التقنية والعقلية التي كان فيها التطبيق أمرا أساسيا. (سعيد، 2020م، ص 153)

وقد أكد الشيخ عبد الحميد بن باديس على أهمية الاهتمام بتنمية القدرات العقلية للتلاميذ، وحث المتعلمين على ضرورة التفكير المنطقي والتحليل في المسائل المختلفة، وهذا ما نجد سنده " ...إذا كان التفكير لازما للإنسان في جميع شؤونه وكل ما يتصل به إدراكه، فهو لطلاب العلم ألزم من كل إنسان، فعلى طالب العلم أن يفكر فيما يفهم من مسائل وفيما ينظر من أدلة، تفكيرا صحيحا دون غيره...."(حميداتو،1997،ص154)

وكان أساتذة مدارس جمعية العلماء يؤمنون بأهمية مراعاة الجوانب النفسية من خلال إدخال الرياضة البدنية وتشجيع المجيدين بمنحهم الجوائز، وتقليل عدد التلميذ في القسم، فلا يزيد عددهم عن الأربعين(40 تلميذا) (شيبان،2009، ص89)، ولذلك أقيمت الاحتفالات في المواسم المختلفة ومنها احتفالات مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، حيث وزعت فيها الأكسية على المحتاجين، وأنشدت أناشيد مختلفة، وذلك من أجل تنشيط التلاميذ وزرع فيهم محبة العلم وجني ثماره. (شيبان،2009، ص93)

2-1-3 الأسس الاجتماعية:

لقد كان هدف جمعية العلماء المسلمين من بناء الفرد إلى تنميتة إلى مجتمع متماسك سلوكا وتفكيرا وتوجيها معتزا بقيمه الشخصية الوطنية، وذلك من خلال بعث التراث العربي الإسلامي لدى الجزائريين من أجل الوقوف في وجه التجنس والإدماج والتفرنس وغرس الثقة في أبناء الجزائر بأن لهم تاريخا وتراثا راسخا أرسخ من الأمم التي تدعي الحضارة، وهذا بهدف تصحيح ما أمكن من أوضاع الجزائريون والمساهمة في الرقي الأخلاقي والاجتماعي للأمة الجزائرية، وكان للتعليم أولوية في الفكر النضالي لجمعية العلماء المسلمين، في ظل السياسة التجهيلية التي مارسها الاستعمار الفرنسي من محاربة للغة وطمس للتاريخ وللهوية الوطنية الجزائرية، ولذلك توجب ذلك مواجهة هذه السياسة بإحياء اللغة العربية والتراث التاريخي الجزائري. ولذلك لم يكن مشروع التعليم عاديا وإنما حمل رسالة تأسيس مشروع حضاري لإحياء الأمة. (مراد، 2007م، ص 412-414)، ولذلك قال عبد الحميد بن باديس" أنا أحارب الاستعمار لأني أعلم وأهذب، فمتى انتشر التعليم في أرض أجذبت على الاستعمار وشعر في النهاية بسوء المصير". (بن داود، 2017م، ص 150)

ويتضح هذا الهدف في مقولة الشيخ البشير الإبراهيمي" إن المدارس مراكز للإصلاح لا تحسبوها للعلم وحده حتى إن أغلقت فرنسا أبوابها أهملت إنها مراكز كفاح...". (بن داود، 2017م، ص 151)

ولقد حاول رجال الإصلاح الدعوة إلى العناية بالتربية المدرسية وضرورة مسايرتها للتحولات الاجتماعية من أجل انقاذ المجتمع من أزماته الاجتماعية والأخلاقية، ونلاحظ الدعوة إلى ذلك على صفحات جريدة البصائر، حيث نوه أحد رجال الإصلاح إلى ذلك "... فكثير من قرانا ومداشرنا خالية لحدِّ الآن من المدارس، والتي وجدت بها بعض المدارس لم يعن بالتربية فيها العناية الكافية، ولم يقرر لها من النظم والبرامج ما تدعوا إليه حاجة العصر، فأصبحت تربية هذه المدارس ضعيفة، وآثارها مشوهة وخريجوها لا في الأحياء يعدون ولا من الأموات يحسبون، أضف إلى ذلك ما تلاقيه بعض المدارس من كيد متعدد النواحي والأساليب.... فاذا شاءت الأمة

الجزائرية أن تنال من العلم منالا عظيما وتحتل بين الأمم مقعدا كريما فلتول وجهها شطر التربية المدرسية..." (محمد العيد،1936، ص 3)

2.2- الأسس المادية (وسائل تنفيذ المنهج التربوي) عند جمعية العلماء المسلمين:

لتنفيذ المنهج التربوي أعدت جمعية العلماء العديد من الوسائل وهي:

2- 2 – 1 المدارس:

استخدم العلماء المدارس والمساجد في رسالتهم التربوية، وقد كانت المدارس الحرة موجهة للأطفال الذين حرموا من التعليم في المدارس الفرنسية، كما كان مسموحا لتلاميذ المدارس الفرنسية الولوج إلى مدارس الجمعية.(سعد الله، 1998، ص255).

وقد ساهمت جمعية العلماء المسلمين في انتشار المدارس الحرة في الجزائر خارج سلطة الإدارة الفرنسية حيث بلغت هذه المدارس سنة 1935م حوالي 70 مدرسة ضمت حوالي 70 ألف تلميذ.

ومن أهم هذه المدارس:

-مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة

-مدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة

-مدرسة تهذيب البنين بتبسة

ورغم محاولات الإدارة الاستعمارية بالحد من انتشار هذا التعليم عن طريق القوانين المختلفة، وأهمها قرار ميشال سنة 1933م، إلاَّ أن عزيمة رجال الإصلاح ساهمت في توسيع دائرة فتح المدارس للصغار والكبار، وساهمت العديد من الظروف الحد من انتشار المدارس الإصلاحية وغلق العديد من المدارس ومن أهمها مدرسة دار الحديث بتلمسان، ومن هذه الإجراءات مرسوم 13 أكتوبر 1938م وقرار وزير الداخلية في 8 مارس 1938م وظروف الحرب العالمية الثانية. (يعيش، 2011، ص 161-163).

وفي سنة 1945م عادت المدارس الإصلاحية في الانتشار حيث دشنت 73 عبر القطر الجزائري، وذلك بعد خروج العديد من زعماء الإصلاح من السجون ومنهم الشيخ البشير الإبراهيمي، ووصل عدد المدارس سنة 1954م إلى 150 مدرسة. كما برزت بعض المعاهد التي اهتمت بالتعليم الثانوي حيث التحق بها الحاصلون على الشهادة الإبتدائية، ومن أهم هذه المعاهد معهد بن باديس الذي تأسس في سنة 1947م وبلغ عدد طلبته 702 طالبا في سنة 1951م(يعيش، 2011، ص 163)، وقد حاكى هذا المعهد جامع" الزيتونة" في برامجه وامتحاناته وشهاداته(سعد الله، 1998، ص263). وارتفع عدد طلبته إلى 912 طالبا في سنة 1955م، وحظي طلاب المعهد الباديسي ببعثات طلابية نحو جامعات المشرق (يعيش، 2011، ص 163).

وقد ساهمت جمعية العلماء المسلمين بتأسيس المدارس بين أبناء الجالية الجزائرية بفرنسا، ومنها مدرسة التهذيب أسسها الشيخ الفضيل الورتلاني.(سعد الله، 1998، ص255).

2-2-2 البرامج والمناهج عند مدارس جمعية العلماء المسلمين:

في السنوات الأولى من التجربة التعليمية لدى جمعية العلماء المسلمين لم تكن البرامج التعليمية موحدة وإنما كل معلم ينظم تعليمه وفق قدراته وكفاءاته الخاصة، واستهدفت هذه الدروس الوعظ والإرشاد، مع برنامج يستهدف الدروس الدينية منها التفسير والحديث والفقه والفرائض والعقائد والتجويد وتقديم تدريس قاعدي (الأصول والعلوم اللغوية في النحو واللغة)، ولذلك برزت بعض المبادرات من طرف المعلمين الذين تناولوا في برامجهم

تعليما ثانويا شمل مواد شرعية (تفسير القرآن، الفقه) وكذلك مواد لغوية وأدبية مثل: شروح المصنفات الكلاسيكية مثل: قطر ابن هشام، وألفية ابن مالك والأسلوبية العربية (مراد، 2007، ص 418-419). وبالرغم من ذلك سعى القائمين على التعليم الحر بجمعية العلماء المسلمين إلى توحيد برامج التعليم في مدارسها من خلال اللقاءات والمشاورات، فعقدوا مؤتمرا عاما في نادي الترقي بالعاصمة ما بين 22 و23 سبتمبر 1937م تحت عنوان "مؤتمر المعلمين الأحرار"، تم فيه التطرق للطرق البيداغوجية والمناهج التعليمية والوسائل المطبقة في مدارس الجمعية، وذلك من أجل توحيد مناهج الدراسة في مختلف مدارس الجمعية (مخلوفي، 2009م، ص 28). وفي سنة 1947م قامت جمعية العلماء المسلمين بتوحيد الامتحانات السنوية في جميع مدارسها بالقطر الجزائري، وقد انعكس ذلك على النهوض بالتعليم. (مخلوفي، 2009م، ص 28).

واقتصرت مدارس جمعية العلماء المسلمين في بداياتها على المرحلة الإبتدائية، واستمرت الدراسة في هذه المرحلة لمدة ستة سنوات وتنقسم إلى ثلاث أقسام:

- القسم التحضيري والدراسة به لمدة سنتان
- القسم الابتدائي: ومدة الدراسة به سنتان
- القسم المتوسط والدراسة به سنتان (مخلوفي، 2009، ص 31)

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت بعض المدارس الثانوية مثل معهد ابن باديس، ولكنها لم تعمم على كافة القطر الجزائري، ولذلك فقد بقي التعليم الثانوي محدود جدا لدى جمعية العلماء المسلمين، ولتدارك هذا الأمر اعتمدت الجمعية على ارسال البعثات التعليمية إلى كافة المناطق. (مراد، 2007، ص 414)

وبالنسبة لمحتوى المناهج التي ركزت عليها مدارس الجمعية ارتكزت على ثلاث أسس وهي:

-تربية إسلامية منظمة ومتينة

-ثقافة عربية ابتدائية

-مبادئ أولية للمعارف العلمية منها الجغرافيا والحساب (عمامرة، 1975، صفحة 276).

ولتنفيذ برامجها وضعت مدارس جمعية العلماء المسلمين جدول دراسي أسبوعي يتكون من ثلاثون ساعة للقسم الابتدائي، خصصت فيه ساعتان للتعليم الخلقي والديني، وخمس ساعات للقراءة، وست ساعات للغة العربية(النحو والمحادثة والإملاء والمحفوظات)، وساعتان للخط العربي، وساعتان للتاريخ والجغرافيا، وساعة لدرس المشاهدة، وخمس ساعات للرياضيات، وسبع ساعات ونصف لأنشطة الايقاظ(الرسم، الأشغال اليدوية والرياضة). (مخلوفي، 2009، ص 32).

واعتمدت في تدريس التاريخ والجغرافيا على كتب من تأليف جزائري ومنها كتب أحمد توفيق المدني "كتاب الجزائر" و"جغرافية الجزائر" الذي ألفها سنة 1948م، ونظرا لأهمية هذا الكتاب فقد أعيد طبعه سنة 1952م (خيثر وآخرون، 2007، ص 159)، وكتاب الشيخ مبارك الميلي " تاريخ الجزائر العام" الذي ألفه سنة 1928م، وكتاب الشيخ عبد الرحمان الجيلالي "تاريخ الجزائر العام" الذي ألفه سنة 1953، كما تم التركيز في تدريس مادة التاريخ على الفترة الإسلامية وذلك ردا على البرامج التعليمة الفرنسية في الجزائر التي اعتمدت على كتب تاريخية ركزت فيها على الفترة الرومانية من خلال تضخيم منجزاتها (بن داود، 2017م، ص 151). وفي العلوم الإسلامية اعتمدت على كتاب "الإسلام ديني"، وكتاب "الفقه الواضح في الدين والأخلاق"، وكتب مكتبة الأطفال في القراءة لكامل الكيلاني، وفي علوم اللغة العربية اعتمدت مدارس الجمعية على كتاب "النحو الواضح

الابتدائي الأول والثاني" وكتاب "كراريس الخط العربي" للأستاذ الجماعي وكتاب "الإنشاء الصحيح". (مخلوفي، 2009م، صفحة 32).

وتكون القسم المتوسط من سنتين وهو يمثل نهاية المرحلة الإبتدائية وفيه توسعت مدارس الجمعية في بعض العلوم، واشتمل الجدول الدراسي الأسبوعي على ثلاثون ساعة موزعة كالآتي: ساعتان للتربية البدنية والخلقية، وثلاث ساعات للمطالعة، وثمان ساعات للغة العربية(نحو محادثة، تعبير كتابي، إملاء)، وساعة للجغرافيا، وساعتان للعلوم الطبيعية، وخمس ساعات للهندسة، وثمان ساعات ونصف لأنشطة الايقاظ (أشغال يدوية، رسم، تمارين رياضية). (مخلوفي، 2009م، ص 33)

ولتنفيذ هذا الجدول اعتمدت على العديد من الكتب في مختلف المواد منها:

- كتاب الأخلاق والواجبات للأستاذ المغربي.
- كتاب النحو الواضح، ج3.
- كتاب كليلة ودمنة للقراءة.
- كتاب الإسلام ديني في الفقه الواضح.
- كتاب الجديد في دروس الحساب
- كتاب تاريخ الجزائر للميلي وتوفيق المدني.
- وشجعت المدرسين في الجمعية على تأليف المسرحيات وغيرها من الفنون الأدبية وعرضها على الطلاب وهذا ما ساهم في تبلور أولى عينات الأدب الجزائري (مراد، 2007، ص 438).

وهكذا، نستنتج أن مدارس جمعية العلماء المسلمين ركزت على الجانب الأخلاقي والتربية من خلال تخصيصها ساعتان للتربية الخلقية ومن خلال تدريس العلوم الإسلامية، وذلك لأهمية الجانب التربوي والأخلاقي في منهج مدارس جمعية العلماء المسلمين، لبناء الوعي الوطني لدى الأفراد، والتربية حسب جمعية العلماء المسلمين" جهد إنساني هادف يوجه لرعاية الفرد والمجتمع، ويسعى لبناء الفكر وتثقيف العقل وتقويم الأخلاق وتقوية البدن من أجل تحقيق الغاية التي يتطلع إليها الإنسان في حياته اليومية". (فضيل ورمضان، 1998م، ص 160)

ونلاحظ تركيز مدارس الجمعية على دروس اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا واعتمادها في هذا على كتب من تأليف جزائري، وذلك بهدف بناء مرجعية وطنية للمحافظة على عروبة الجزائر ووطنيتها ومقوماتها الثقافية وهو رد واضح على السياسة الثقافية الاستعمارية الفرنسية التي كانت تهدف إلى "اخضاع النفوس" وضرب الشخصية الوطنية الجزائرية في هويتها وثوابتها.

ورغم هذا لم يقص القائمين على مدارس جمعية العلماء المسلمين تعليم اللغة الفرنسية من برامجهم في بعض المدارس حيث آمن ابن باديس بأن الأحادية اللغوية لا تعطي المستوى الفكري المأمول، ونجد سند هذا في مقال بالشهاب حيث قال: "يعلم قراؤنا بأننا لم نكف عن الإعلان في كل مناسبة بأن التعليم باللغة العربية والفرنسية ضرورة حيوية بالنسبة للجزائريين...". (مراد، 2007م، ص 417).

كما أن الدروس اعتمدت في برامج الجمعية على وضعيات انطلاق، وذلك لشد انتباه التلاميذ وتشويقهم لمحتوى الدرس، كما يجب على المعلم ترتيب الدروس بطريقة تناسب البيئة، وبطريقة تراعي الفوارق الفردية بين المتعلمين.(قداح، 1954، ص7).

2-2-3 - التمويل:

اعتمدت جمعية العلماء المسلمين في توفير النفقات للمدارس على مصادر مالية متنوعة وهي:

- مساهمات أولياء التلاميذ: وذلك من خلال دفع مستحقات دراسة أبنائهم السنوية، كما أن الميسورين كانوا يتسابقون لدفع المستحقات عن أبناء الفقراء. (مخلوفي، 2009م، ص 15)
- التبرعات: وقد قدمها التجار والأثرياء لجمعية العلماء المسلمين من داخل وخارج الجزائر، ومن هذه التبرعات التاجر محمد خطاب الفرقاني حيث قدم سنة 1947م مبلغ نصف مليون فرنك. (الإبراهيمي، 1981م، ص 198).
- الزكاة.
- مداخيل المهرجانات الثقافية التي أقامتها بعض المدارس.
- ومن المداخيل أن كل مدرسة تفيض مداخيلها عن مصاريفها يدخل الفائض في خزينة جمعية العلماء المسلمين، وكل مدرسة تقل مداخيلها عن مصاريفها يتم سد نفقاتها من خزينة الجمعية. (مخلوفي، 2009، ص 15).

ويشير الشيخ الإبراهيمي إلى تمويل بناء المدارس بقوله:(مالية بناء المدارس لا تدخل خزينة الجمعية، بل تقبضها الجمعية المحلية وتنفقها على البناء، فإذا تم البناء جرى الحساب علنا على رؤوس الأشهاد بحضرتي وسد بابها، والمالية الخاصة بأجور المعلمين والقومة على المدرسة تؤخذ من آباء التلاميذ بواسطة أمين عام الجمعية المحلية في مقابل إيصالات رسمية مختومة بختمها، ولكل مدرسة جمعية محلية تنتخبها جمعية العلماء من أعيان المدينة أو القرية، ولا تحاسب جمعية العلماء إلاَّ في آخر السنة في الاجتماع العام...)(الإبراهيمي،ج5، 1997،ص287).

2-2-4 - المدرسون(المعلمون)

في البداية كان انتقاء المعلمين يقتصر على تحصيل علمي يؤهلهم للتدريس، إلاَّ أنه في سنة 1948م أسست لجنة التعليم العليا للإشراف والمتابعة، واشترطت هذه اللجنة سنة 1951م شرط شهادة التحصيل الزيتونية، وفي سنة 1953م اتبعت تعيين المعلمين بخضوعهم لامتحان يحتوي على إلقاء درس وموضوع إنشائي وسؤال تربوي، وحسب البصائر فإن عدد المعلمين في الجمعية سنة 1951م بلغ 275 معلما ومعلمة.

كما أن تعيين المعلم في مدارس جمعية العلماء المسلمين وجب توفره على العديد من السمات الأخلاقية أهمها:

- قوة الشخصية وحسن الأخلاق (عمامرة، 1975، صفحة 318)
- الوقار والهيبة.
- القدوة الحسنة (نواري، 2015، صفحة 38).

وكان تعيينهم بالإضافة إلى تلك الشروط يتم وفق موافقة لجنة معدة لذلك، ولم تكن نتائجها مرضية للجميع، وقد نوه الشيخ البشير الإبراهيمي بذلك بقوله" ولكني- مع ذلك - أجزم بأنه يوجد في المعلمين من لا يرضى بالمكان الذي عين لها، وأنا أقول للجميع قولة الناصح المجرب: إنه ليس في الإمكان، ابداع مما كان، وأن كل شيء كان على بصيرة، وبعد تقليب للآراء والأنظار، فلا يتهمن منهم بسوء القصد أو الاختيار، ..."(الإبراهيمي، ج3، 1997، ص 323)

كما عانى بعض المعلمين في خاصة المغتربين من صعوبة توفر السكن والأجرة، وقد نوه الشيخ البشير الإبراهيمي لذلك بقوله" أنا – فقد كنت أرثي ومازلت لحال أبنائي المعلمين المغتربين في قضيتي السكن والأجرة، ومازلت أجاهد في سبيلهم، وأحمل الجمعيات تبعة التقصير، وسأقوم بنفسي هذه السنة في هذا السبيل وأزيح العلل ما استطعت، ورجائي الأكيد من أبنائي جميعا أن يعونوني –على أنفسهم– كل بما يملك".(الإبراهيمي، ج3، 1997، ص324).

إن معظم المدرسين الجزائريين تخرجوا من الزيتونة، ولذلك تأثروا بتنظيم ومحتوى وروح التعليم الزيتوني، ولم يكن الشيخ عبد الحميد بن باديس راضيا على تبني الروح الزيتونية التي رأى فيها بعض الميل للرتابة (مراد، 2007، صفحة 413)، ولذلك لتفادي روح الجمود لدى هذه الفئة عملت مدارس جمعية العلماء المسلمين على تصنيفهم إلى أربع مستويات وهي أ–ب–ج–د، وكانت أجورهم تصرف طبقا لهذه التصنيفات. (عمامرة، 1975، الصفحات 308–309).

وحددت اللوائح الداخلية لمدارس جمعية العلماء المسلمين مهام المعلمين وبعض الشروط التنظيمية المفروضة على المعلمين لتنظيم وضمان سيرورة العملية التربوية بأحسن وجه وذلك من خلال:

– المعلم ملزم بتطبيق القانون الداخلي للمدرسة وتطبيق المنهاج وتحصيل الاشتراكات السنوية من المتعلمين.

– منع المعلم من ممارسة أي عمل آخر في المدرسة أو الفصل غير ما يتعلق بالتعليم أو ما يطلب بواسطة المدير.

– المشاركة بوضع الاختبارات.

– عدم الاتصال بأي سلطة خاصة بشؤون التعليم إلاَّ عن طريق السلم الإداري. (عمامرة، 1975م، ص 309).

وبقراءة تحليلية لأدبيات جمعية العلماء المسلمين نلاحظ التركيز على دور المربي والمعلم بالرقي بالعملية التربوية، وأهمية تكوينه وإصلاح أحواله، وفي هذا الصدد يؤكد الشيخ الفضيل الورتلاني:" ...ثم إن البحث لا ينبغي أن يكون قاصرا على تعليم وتربية الصبيان فحسب، بل العناية بإصلاح حال المعلم والمربي ومن عظة ما يتبين شكيرها– والذي يجب عليه التكفل بهذا الصحف السيارة والهيئات القائمة الملتزمة به...".(شيبان، 2009، ص101).

ولذلك كان الشيخ ابن باديس في كثير من الأحيان ينتقد مستوى المعلمين وعدم سعة اطلاعهم وإلمامهم بالمعرفة اللازمة، بقوله"..إنه ليقل في المتصدرين للتدريس، من كبار العلماء في أكبر المعاهد، من يكون قد ختم كتب الحديث المشهورة كالموطأ والبخاري ومسلم ونحوها، مطالعة، فضلا عن غيرهم من أهل العلم، وفضلا عن غيرها من كتب السنة".(حميداتو،1997،ص146).

وافتقر برنامج جمعية العلماء المسلمين إلى برنامج تكويني في بداياتها، ولكن فيما بعد أوفدت البعثات الطلابية إلى المشارق والمغارب بهدف تعزيز القدرات العلمية.(حميداتو،1997،ص148).

2–2–5– التلاميذ:

حددت اللوائح الداخلية لمدارس الجمعية عدة شروط وجب توفرها في المتعلم ومنها:

– السن: يقبل التلاميذ ابتداء من سن لا يقل عن ست سنوات ولا يزيد عن إحدى عشر سنة وتستمر عملية تعليم التلميذ حتى سن الخامسة عشر.

– شهادة التلقيح : لدخول التلاميذ للدراسة وجب توفرهم على شهادة تلقيح من الأمراض المعدية.

– بداية التحاق التلميذ بالسنة الدراسية يكون في أول أكتوبر إلى منتصف نوفمبر.

لم يقتصر التعليم في مدارس الجمعية على فئة الذكور فقط، فقد كان للإناث حضور واضح في مدارس الجمعية، ولتشجيع تعليم المرأة اتبعت جمعية العلماء المسلمين العديد من الإجراءات منها:

– مجانية التعليم بالنسبة للإناث مهما كانت وضعيتهم الاجتماعية.

– حث الأولياء على تعليم بناتهم في الخطب المسجدية (بن باديس، 1931، صفحة 117).

3 – نتائج الجهود التربوية لجمعية العلماء المسلمين:

ساهمت جهود جمعية العلماء المسلمين في تحقيق العديد من النتائج ومنها:

3-1 – المحافظة على الهوية الوطنية:

من بين النتائج المباشرة التي حققها المنهج التربوي لمدارس جمعية العلماء المسلمين المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، طبقا لما يؤمن به القائمين على جمعية العلماء المسلمين " الإسلام ديننا– العربية لغتنا– والجزائر وطننا"، وفيما يخص اللغة العربية قد برزت نتائج مجهودات الرسالة التربوية والتعليمية لجمعية العلماء المسلمين من خلال ذلك بناء جيل دافع ومازال يدافع لحد اليوم عن اللغة العربية والعروبة لكونها رابط أساسي بين الجزائر والأمة الإسلامية (مراد، 2007م، ص 428)، وساهمت بذلك جمعية العلماء المسلمين في محاربة السياسية الاستعمارية الفرنسية في التي كانت تهدف لمحاربة اللغة العربية في الجزائر من خلال نشر اللغة الفرنسية ودعم اللهجة العامية في التعليم، وقد نجحت جمعية العلماء المسلمين في المحافظة على مقوم أساسي من مقومات الشخصية الوطنية، وهو إحياء اللغة العربية ونشرها على نطاق واسع في المجتمع الجزائري.(تركي، 1981، ص 328)

وكما ساهمت المدراس الباديسية في كتابة التاريخ الوطني الجزائري بأقلام جزائرية، وفي صقل الملمح الديني والثقافي للشعب الجزائري، وهذا ساهم في تعميق الروابط ووحدة الشعور مع المشرق، كما ساهمت المدرسة الباديسية في ايقاظ الوعي بالعزة الوطنية والافتخار بالانتماء إلى المشرق الإسلامي. (مراد، 2007، ص 525)

وقد حققت مدارس جمعية العلماء المسلمين أهدافها في المحافظة على الدين الإسلامي، وهو مقوم أساسي من مقومات الشخصية الجزائرية، خاصة أن الدين الإسلامي تعرض محاولات التشويه من قبل الاستعمار الفرنسي، من خلال محاولات التنصير التي قادها رجال الدين المسيحين، ومصادرة الأوقاف التي كانت تقوم بشؤون المساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب القرآنية، ولذلك ركزت مناهج مدارس جمعية العلماء على تعليم القرآن وما يتصل به من علوم التشريع والأخلاق والعقائد والتفسير والحديث، وبهذا تمكنت من المحافظة على هذا المقوم الأساسي في الشخصية الوطنية الجزائرية.(تركي، 1981، ص 331).

3– 2 المساهمة في النهوض بالحياة الفكرية والعلمية والاجتماعية:

ساهمت المدرسة الباديسية بالنهوض بحركة التعليم العربية متحدية السياسة الفرنسية التي عمدت إلى نشر الجهل والتخلف في المجتمع الجزائري، وبهذا أصبحت الجزائر سنة 1939م مختلفة عما كانت عليه في العشرينيات من القرن العشرين، فكان أهم انجاز على الصعيد الاجتماعي القضاء على التمييز الاجتماعي بالتقريب بين المالكية والإباضية والبربر، كما ساهمت في القضاء على كثير من مظاهر الجهل التي حاول الاستعمار الفرنسي ترسيخها في المجتمع الجزائري. (بو الصفصاف، 1983، صفحة 126).

3-3 المساهمة في خلق الوعي الوطني:

إن هدف جمعية العلماء المسلمين كانت تربية النشء على الوطنية فيقول الشيخ البشير الإبراهيمي "كانت الفكرة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في تربية النشء هي: ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربيه على الفكرة الصحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة مع الجيش الذي أعددناه من تلاميذنا". (الإبراهيمي،ج5، 1997،ص280).

إن "الفكرة الصحيحة" كانت في تلقين الطلبة دروس الوطنية لتصبح حاجزا في وجه الجزائر الفرنسية، وقد كانت المبدأ الأساسي لجمعية العلماء إحياء "**الدين**" و"**اللغة**" و"**الوطنية**"، لأن السياسة الاستعمارية الفرنسية عملت على طمس الهوية الوطنية لمدة قرن كامل، ولذلك ركزت جمعية العلماء المسلمين على ربط الجزائر بالمشرق حضاريا وسياسيا.(سعد الله، 1998، ص252).

وقد كانت كتب الجغرافيا المعتمدة في مدارس الجمعية مكتوبا على غلافها الخارجي " الإسلام ديننا– والعربية لغتنا– والجزائر وطننا" وبعبارة " الجزائر وطننا" ترسيخ للوطنية لدى الفرد الجزائري والرد على كل محاولات الإدماج الفرنسية، ولذلك حرصت الجمعية في مدارسها على تدريس الجغرافيا في حصة مستقلة عن حصة التاريخ يتعلم فيها التلاميذ جغرافية الجزائر والعالم الإسلامي، والهدف من ذلك التكوين الوطني والقومي، وقد كانت مادة التاريخ ومادة الأناشيد مكملة لمادة الجغرافيا في تجسيد هذا الهدف.(تركي، 1981، ص 341).

ولقد ساهمت جمعية العلماء المسلمين في التحضير لثورة 1954م من خلال البناء الفكري والروحي والثقافي لجيل كامل أصبح وقودا للثورة الجزائرية، ومن خلال التحاق طلبة مدارس جمعية العلماء المسلمين بالثورة الجزائرية. (تاورتة، 1998، ص 221).

4–الخاتمة:

لقد ساهم المنهج التربوي لجمعية العلماء المسلمين في التأثير العميق على نسيج المجتمع الجزائري، وبذلك شكلت مدارس الجمعية الملاذ الآمن للفرد الجزائري في ظل سياسية استعمارية استهدفت الأرض والإنسان، واضطلعت مدارس جمعية العلماء المسلمين بعدة أدوار اجتماعية وسياسية، فربت جيلا كاملا على حب الوطن والدفاع عنه وبعث مقومات الأمة الجزائرية، متمسكا بقيمه الأخلاقية. ولهذا فإن ما حققته مدارس جمعية العلماء المسلمين يشكل نموذجا للممارسات التربوية الناجحة وتجربة تحتاجها المدرسة الجزائرية اليوم.

– الإحالات والمراجع:

إبراهيم نواري. (2015). **أصول التربية والتعليم عند جمعية العلماء المسلمين**(رسالة ماجستير). الجزائر: المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة.

أبو القاسم سعدالله،(1998) ط1،ج3 1830–1954، تاريخ الجزائر الثقافي بيروت: دار الغرب الإسلامي.

أبوبكر الصديق حميدي، محمد يعيش. (2011). تجربة التعليم الحر لدى الحركة الاصلاحية الجزائرية. التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830–1962 (الصفحات 157–168). عنابة: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية.

أحمد بن داود. (2017). المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم(1920–1954).(رسالة دكتوراه) وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة: جامعة أحمد بن بلة وهران 1.

جمال مخلوفي. (2009). التعليم العربي الحر في حوض الشلف خلال الفترة 1930-1956(رسالة ماجستير). وهران، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: جامعة وهران.

حمدي شريف سعيد. (ع1 م12، 2020). تصحيح مسار المدرسة الجزائرية على ضوء تجربة جمعية العلماء المسلمين. الجزائر:الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية.

رابح تركي عمامرة. (1975). التعليم القومي والشخصية الوطنية. الجزائر: الشركة الوطنية للكتاب.

عبد الحميد بن باديس. (1931). تعليم المرأة. الشهاب، 115-117.

عبد الحميد بن باديس، آثار عبد الحميد بن باديس،(1997)،ج2، مج1، الجزائر: الشركة الجزائرية

عبد الرحمان شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، (2009)،الجزائر: دار المعرفة.

عبد الفتاح قداح(س7،ع1954،300)، المعلم ووسائل الانتباه، البصائر.

عبد القادر حلوش. (2013). سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر. الجزائر: شركة دار الأمة.

عبد القادر فضيل، و محمد الصالح رمضان. (1998). إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس . الجزائر: دار الأمة.

عبد الكريم بو الصفصاف. (1983). جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الوطنية الجزائرية1931-1954، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

عبد النور خيثر، و وآخرون. (2007). منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1954. الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية(طبعة خاصة بوزارة المجاهدين).

علي مراد. (2007). الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزار. الجزائر: دار الحكمة.

محمد البشير الإبراهيمي. (1981). آثار الشيخ الإبراهيمي، ج3. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

(ـــــــ،ـــــــــ). (1997). آثار الشيخ الإبراهيمي، ج3، ج5، (1940-1952). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

محمد العيد تاورتة. (س1 ع1، 1998). اسهامات جمعية العلماء المسلمين للإعداد لثورة نوفمبر. الجزائر، مجلة الإحياء.

محمد العيد،(س1،ع2، 1936)" التربية المدرسية وأثرها في المجتمع"، البصائر، الجزائر.

مصطفى محمد حميداتو،(1418هـ،ع57،س17) عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، كتاب الأمة قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.